كباراً وصغارا
تأثيرات العنف المسلح على الأطفال والشباب

يتأثر الأطفال والشباب، تحديداً وبشكل غير متناسب، بالعديد من النتائج المترتبة على العنف المسلح، سواء كان ذلك فيزيولوجياً أو نفسياً أو اجتماعياً. فهم ضحايا وشهود ومرتكبو العنف المسلح. هذا الفصل يصف الآثار المباشرة وغير المباشرة للعنف المسلح على الأطفال والشباب، ويسلط الضوء على جدوى السياسات والبرامج التي أنشأت وعززت آليات المواجهة.

الآثار المباشرة وغير المباشرة

الوفاة والإصابة بالجروح والتعرض للصدمات النفسية هي من النتائج المباشرة للعنف المسلح على الأطفال والشباب. ولئن يفقد العديدون حياتهم في سياق النزاع المسلح، بوصفهم مقاتلين أو مدنيين، فإن عدد الجرحى والمعوقين وذوي الصدمات النفسية لهو أكبر بكثير.

يتعرض الأطفال والشباب، بالإضافة إلى الآثار المباشرة للعنف المسلح، لتأثيرات غير مباشرة: عندما يموت أحد أفراد الأسرة أو يصاب بجرح، عندما لا بد من تحرك الأسرة، أو عندما تصاب الخدمات الاجتماعية الأساسية بالخلل. يسهم العنف المسلح في زيادة الفقر وسوء التغذية وشيوع المرض، ولهذه جميعاً عواقب خطيرة طويلة الأمد على الأطفال والشباب.

وتمثل صعوبة الحصول على التعليم وضعف نوعيته واحدا من أهم الآثار المباشرة للعنف المسلح على الأطفال في سن الدراسة. فقد لا تؤدي المدارس وظائفها بسبب تفشي عدم الاستقرار أو الخوف من خطف الطلاب أو التعرض للهجوم على طريق المدرسة. وقد تتعرض المباني المدرسية للهجوم عمداً لأسباب سياسية – على سبيل المثال، لأنها ممتلكات حكومية وعليه ينظر إليها باعتبارها «هدفاً سهلاً» – أو لأسباب عملية. ويمكن احتلالها واستخدامها قواعد للقوات المقاتلة لاحتوائها على مرافق لائقة، بما فيها دورات مياه ومطابخ.

كما يحدّ النزاع من الحصول على الرعاية الصحية. وقد تتعرض المرافق الصحية لهجوم مباشر. وعادة ما تتعرض المرافق التي تبقى مفتوحة إلى النهب، أو تفقد موظفيها، أو تضطر إلى إغلاق أبوابها. أما المرافق المتبقية فيصعب الوصول إليها، في بعض الأحيان، بسبب القيود المفروضة على الحركة. وللتدهور في الرعاية الصحية آثاره على نمو الأطفال البدني، بينما يؤثر غياب خدمات الصحة الإنجابية على الفتيات والشابات، لا سيما الحوامل أو ممن تعرضن للاغتصاب.

قياس الآثار

يبين الفصل أنه بينما تتبدى الآثار المباشرة للعنف المسلح في الغالب عيانياً ويمكن قياسها، فإنه من الصعب قياس التأثيرات غير المباشرة، بما في ذلك تعطيل الدراسة والمرض وسوء التغذية. وتطرح عملية حصر نطاق هذه الآثار – بعضها طويل الأمد أو دائم – عددا من التحديات المفهومية والمنهجية والعملية.

وبالرغم من إن المراهقين والشباب يشكلون عموماً غالبية الضحايا المباشرين للعنف المسلح، فإن الاطفال الأصغر عمراً قد يعانون أيضا من الهجمات التي تستهدف المدنيين أو تجنيدهم في جماعات مسلحة. أما الفتيات فإنهن عرضة بشكل خاص للاستغلال الجنسي، بما في ذلك الاغتصاب والاستعباد الجنسي. فالاغتصاب، فضلاً عن اقترانه بما يفرزه من صدمات عاطفية وجسدية، يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) وحالات الحمل غير المرغوب فيه.

وبما أن الآثار تختلف باختلاف العمر والجنس والثقافة والظروف الخاصة للفرد، فمن الأهمية بمكان أن ينظر الباحثون إلى المفاهيم الاجتماعية للطفولة والصحة، بما في ذلك الصحة العقلية، لأنها ستحدد الكيفية التي سيجرب ويتصور ويعبر الضحايا بها عن هذه الآثار.

طبيب شرعي يعاين جثة واحد من أربعة أطفال قتلوا عندما تعرضت حافلتهم لنيران القصف في غامليسون بهندوراس، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤. © وكالة فرانس برس

بنت عمرها ١٦ عاما وطفلها الذي ولد بفعل الاغتصاب، في غوما بجمهورية الكونغو الديمقراطية، شباط / فبراير ٢٠٠٨. © روبن هاموند/صور بانوس

مرونة

يبين هذا الفصل أنه رغم ما في الأطفال والشباب من جوانب ضعف، فهم يتحلون بمرونة هائلة وقدرة على مواجهة الموقف. ولئن قد يكون البعض منهم ضحية سلبية للعنف، فإن علاقتهم بالعنف المسلح تتسم في الغالب بكونها أكثر دينامكية. فالكثيرون يقدمون على ارتكاب أعمال عنف أما طوعاً أو تحت الإكراه. كما يبدي الأطفال والشباب الذين يتعرضون للعنف المسلح، في نفس الوقت، شجاعة ومثابرة هائلتين في كثير من الأحيان في مواجهة المصاعب. ويضطر كثير من الناجين إلى استكشاف وتطوير استراتيجيات البقاء التي اختبرت في ظل الظروف القاسية فالكثير منهم يحملون على عاتقهم مسؤوليات ثقيلة، مثل كسب العيش ورعاية أفراد الأسرة.

الطريق إلى الأمام

على الرغم من تصميم عدد من البرامج بغية الحد من آثار العنف المسلح على الأطفال والشباب، إلا انه لم يجر توثيق الدروس المستفادة بشكل منتظم والتعلم منها. ونتيجة لذلك ثمة نقاش واسع بين الخبراء حول «ما الذي يعمل». فعلى سبيل المثال ، في مجال إعادة إدماج الأطفال– حيث يتبدى التحدي الرئيسي في تقديم المساعدة العاجلة للمقاتلين السابقين قبل أن ينجروا إلى صراع آخر أو البدء في الاعتماد على الجريمة بوصفها استراتيجيةً للرزق – لقد تم تحديد بعض الممارسات الجيدة المحتملة من حالات معينة، رغم الافتقار إلى تقييمات منهجية.

ثمة حاجة إلى مزيد من الأبحاث لتحسين الفهم العام للمرونة، وكذلك لفهم العوامل الفردية والسيَّاق العام المتداخلة، والتعرف إلى التدخلات التي تشجع وتعزز استراتيجيات المواجهة. كما أن من شأن التدخلات الفعالة تقليل خطر ارتكاب أعمال العنف في المستقبل، وبهذا يُحد من احتمال انتقال عدواها بين الأجيال.